



أثر القرآن الكريم في المكاتبات السلطانية الأندلسية

سامية جبـاري: استاذة محاضرة "أ"

كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر1

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الدور المهم الذي اضطلعت به الرسالة السلطانية (الديوانية) على أساس أنها أقدم وثيقة تاريخية تمكنا من استجلاء معالم الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية في المغرب والأندلس، ونظرا لكونها أداة تواصل بين الحكام والمحكومين وكذا الدول المجاورة أو الدول المعادية وكذا هي وسيلة يتعين بموجبها القضاة والعمال والولاة وغيرهم من ذوي المناصب الرفيعة يكلفون بها مهامهم، وهي تحوي وصايا ونصائح تعينهم على ما أسند إليهم من وظائف، من هنا ارتأيت أن أشير إلى أنواع الرسائل الديوانية والتعريج على بعض خصائصها التي تميزها عن مثيلاتها المشرقية، ونظرا لكونها اعتمدت على القرآن الكريم ووظفته على حسب الحاجة إليه ترغيبا أو ترهيبا بتفاوت استعمال القرآن كاقتراس الآيات بنصوصها أو اقتباس المعاني، أو الألفاظ، فقد شملت الدراسة على الوقوف على استعمالاته ضمن الرسائل الديوانية وإبراز مدى استحكام توظيفه في الأوامر والنواهي والتذكير بضرورة التمسك بالدين والدعوة لتطبيق أحكامه.

Abstract

The aim of this letter is to highlight the important role undertaken by the Royal Letter on the grounds that it is the oldest historical document that enables us to clarify the parameters of political, cultural and social life in The Great Arab Maghreb and Al-Andalus, it is also a communication tool between the rulers and the ruled ones, as well as the neighboring countries or hostile states, it is also a mean to the appointment of the judges, governors and others with

high-level positions to perform their duties it contains Commandments and Advice on the Tasks that was assigned to them.

Here I thought I would point to the types of the Royal Letters, and stopover in some of its characteristics that distinguish it from those of oriental and because it relied on the Holy Quran i used it as needed, Persuasion or intimidation, quoting from the verses and quote meanings or words.

this study stands on its uses within the Royal Letter and highlighting the extent of its use in commands and prohibitions

تهديد:

كان من نتائج فتح المغرب والأندلس أن نشأت خطة الكتابة، وعرفت بالكتابة الديوانية لما اقتضته الضرورة من تبليغ أوامر الحكام، الأمراء والخلفاء إلى قادتهم ورعايهم، وقد تولى الكتابة الأمراء الفاتحون فغلب عليها طابع البداوة، وظلت كذلك إلى أن نشأ جيل ممن حذق الأدب وتقنن فيه، فاحتاج الديوان إلى كاتب خاص يتولى النظر في أمور الدولة، ويهتم بشؤونها فيكون لسان حالها الناطق ويسارع بالمخاطبة والتبليغ والتوجيه، وهي كما قال القلقشندي: "بالكتابة والكتاب قامت السياسة والرياسة"¹ فكان بذلك للكاتب في الأندلس شخصية أكثر ظهوراً في المجتمع، "وكانت حاجة السلطان إلى كاتب بعينه في توجيه أمور الحكم أكثر من شاعر يطربه ساعة من الزمن"²، فعمرت بلاطات الخلفاء والأمراء بكتاب تنافسوا في الأسلوب والمنهج، ثم في السلطان والوجاهة لأن شهرتهم وذيوخ صيتهم يرجع بالضرورة إلى مكانتهم من الرياسة والسلطان على حد قول الأستاذ رضوان الداية.³

فأضحت الأندلس مسرحاً حقيقياً لظهور فئة الكتاب الذين تمكنوا من الكتابة الديوانية حتى أصبح ديوان إنشائهم مدرسة فكرية وثقافية يقتدي بهم كل "كاتب أجاد المطلع والمقطع"، وهكذا ذاع صيتهم، وألفت فيهم التواليف⁴ ككتاب "اللفظ المختلس من بلاغة كتاب الأندلس"، "الذخيرة"، لابن بسام، "القلائد" لابن خاقان و"ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب"، وقد برزت بذلك أسماء لامعة من كتاب الديوان كأمية بن زيد، عبد الله بن إدريس، أبو بكر بن القصيرة، ابن أبي الخصال، عبد الله بن عياش، ابن محشرة، ابن جلاب، ابن زمرك، ابن الخطيب...

مفهوم الكتابة السلطانية * الرسالة الديوانية* :

تعرف الكتابة السلطانية بالرسائل الديوانية وهي تلك الرسائل الصادرة عن ديوان الخليفة أو الأمير، أو الوالي والقاضي لأغراض عديدة ومتنوعة، وفي مجالات مختلفة من سياسة، وإدارة وحرب وسلم وغيرها.

تعتبر الرسالة الديوانية منشورات رسمية تعكس الوجه السياسي والحضاري لدولة الإسلام في الأندلس، وهي تحمل سمات فنية انفردت عن قرينتها في مصر والشام⁵.

ثم أن الرسائل الديوانية تعتبر أقدم وثيقة تاريخية تطلعننا على أهم جوانب الحياة السياسية والاجتماعية في المغرب والأندلس إذ بها تحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم وتبلغ بها أوامر الدولة ونواهيها، كما تعطي صورة واضحة عن قضايا العصر سواء كانت العلاقة مع الرعية أو مع البلدان المجاورة في حالتي السلم والحرب، وبها تبلغ الانتصارات في المعارك، كما تدعو إلى الجهاد والقضاء على الفتن والنيل من المتمردين الخارجين عن الطاعة، ثم ارتقت إلى أن أصبح يتعين بموجبها القضاة والعمال والولاة وغيرهم من ذوي المناصب الرفيعة يكلفون بها مهامهم، وهي تحوي وصايا ونصائح تعينهم على ما أسند إليهم من وظائف، بالإضافة إلى أنها صدى لمختلف الأحوال الاجتماعية، فأضحت بذلك وثيقة رسمية تعيننا على تحديد معالم الحياة السياسية الثقافية والاجتماعية في المغرب والأندلس.

وبم أن الرسائل الديوانية وسيلة إعلامية فهي ضرورة حتمية للاتصال والتبليغ لا سيما أن مناحي الحياة متعددة وظروف الدولة تختلف من حاكم إلى غيره ومن عصر إلى آخر، مما أدى إلى تعدد الرسائل والتي أصبحت فنا قائما بذاته يتنافس حوله الكتاب. فكثرت الرسائل وكثرت أقلامها من أفاض الكتاب وحملة لواء الأدب والخيال.

ثم أنه إذا كانت الرسائل الديوانية واجهة رسمية في تحديد العلاقات ووسيلة دعائية إعلامية، كان ولا بد أن يكون منشؤها من أهل البراعة والفتنة، فكما قال الخطيب أن "أهل الأندلس كانوا كثيرين الانتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة، فإن كان ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه"⁶.

لذا نجد أن الكتاب كانوا يخضعون لمقاييس دقيقة في اختيارهم للكتابة الديوانية، فهم لا يغفلون عن خلقه وعن ملكته وعن أدبيته، وهذا دليل واضح على اعتناء الحكام بالكتابة والكتاب، دون أن ننسى ما كانت تحققه الكتابة من سلطان لصاحبها إن أجاد فهي توصله إلى الحجابة وإلى الوزارة كابن عبدون وابن عطية وابن الخطيب، وغيرهم كثير.

كما أن الرسالة الديوانية لم تكن مادة جامدة، فهي وإن تميزت بالبساطة والسهولة في معظمها إلا أنها تخلت عن تلك القيود التي نلمسها في الشعر، حيث انطلق الكاتب الديواني فيها وأصبح ينافس المشاركة في نثرهم، فجاءت رسائله قطعة نثرية بلاغية متميزة مزج فيها بين الحقيقة والخيال، وعدد أساليب الصياغة والإنشاء، وضمنها ألوانا بيانية زادت بها جمالا فاستطاع أن يبلغ مشاعره وعواطفه بفصاحة وبلاغة ميزتها عن مثيلاتها في المشرق.

إن الدارس للرسائل الديوانية خلال فترة الحكم الإسلامي بالأندلس سيجدها متنوعة الأساليب، متعددة المناهج لدرجة جعلتها تنافس قرينتها في المشرق من ناحية الشكل والمضمون، وقد حصرها القلقشندي على امتداد فترة الحكم الإسلامي في الأندلس، فوجدها "سمات انفردوا بها عن كتاب المشرق، والديار المصرية"⁷. يمكن أن نجعلها في قوله: "أن المخاطبة تقع للمكتوب إليه بميم الجمع مع الانفراد، كما تقع الكتابة عنه بميم الجمع مع الانفراد، ومنها أهم يلتزمون الدعاء بمعنى الكتابة، عند قولهم -كتبنا-، بأن يقال: كتبنا إليكم كتب الله لكم كذا..."⁸ ومنها أنهم يترضون عن الخليفة القائم بدعوته في كتبهم، ومنها أنهم يذكرون اسم المكتوب إليه في أثناء الكتاب، وتختتم بالسلام غالبا"⁸.

مميزات الكتابة السلطانية:

وتجدر بنا الإشارة إلى أن الكتابة الديوانية ارتبطت كثيرا بأوضاع العصر، فاختلفت مواضيعها، وتعددت حسب ما يقتضيه التطور الحضاري والسياسي والاجتماعي لذا نسجل لكل عصر خصوصياته.

ففي صدر الدولة الأموية بالأندلس كان النثر الديواني "ذو طابع إعلامي بحث تكاد تنحصر وظائفه في تبليغ إرادة الحكام"⁹. حيث كانت تدور حول وعود يقطعها الولاة إلى القادة المنفصلين عن حكمهم "وإلى العرب النازلين بأطراف مختلفة من الأندلس يستهونهم، ويرجون نصرهم وتأبيدهم، أو يحذرونهم ويخيفونهم"¹⁰، كما عالجت غرض الفتوح والجهاد، وما يقتضيه من مراسلات بأسلوب واضح موجز تقني فيه العبارة القوية عن التعبير، فمالوا إلى الاستغناء عن "التجميل والتزيين والبعد عن المقدمات وألقاب التعظيم"¹¹، حرصا منهم على التبليغ فكانت رسائلهم صورة للنثر الديواني المشرقي، وفي آواخر العصر الأموي وبداية عصر الطوائف، بدأت الكتابة الديوانية تأخذ "منحى آخر خاصة، بوفود الأدباء، والعلماء، والمفكرين على الأندلس، والذين ساهموا في التطور الحضاري في مختلف الميادين والتي تطلبت بدورها أنواعا من التفكير، والتعبير ظهرت بارزة في أغراض الرسائل الديوانية

من "أوامر سياسية أو عسكرية يرسلها الأمير إلى عماله، وقواده في أرجاء الأندلس، أو توجيهات من السلطة المركزية"¹².

وتعدى ذلك إلى أن أصبح كل حاكم مستقل بمدينة أو منطقة كانت له مراسلات مع عماله، حول شؤون الأمن والعمليات العسكرية¹³.

إلى جانب هذه الأغراض السياسية نجد من الوثائق ما هو عقود أمان، ومعاهدات المودة والصلح، واستنهاض الهمم للدفاع عن الدين، والتقليد في الوظائف وغيرها.

هذا ما جعل كتاب الرسائل الديوانية يطورون أساليبهم "فزاوجوا بين الإسهاب والوضوح، والجزالة والقوة، وجعل الابتداء والانتهاى على طريقة خاصة"¹⁴، وأكثروا من استعمال الجمل الدعائية والعبارات الاعتراضية، "فكانت الكتابة الديوانية عظمية الإزهار متعددة الموضوعات، متنوعة الأساليب"¹⁵.

أما أهم ما يميز الرسائل الديوانية للعهدين المرابطي والموحدي، أنها تعبر عن القضايا والأحداث التاريخية، لاسيما منها الإدارية والتي يتعين بموجبها الولاة، والقضاة، والقادة وغيرهم في أهم الوظائف، مركزة على طريقة التعيين، والأسلوب المنتهج في ذلك، كما تحدد العلاقات الإدارية، كل في مجاله، وهي أيضا تلقي الضوء على العلاقات الخارجية مع الدول المجاورة في حالة السلم، والحرب.

وإذا نظرنا إلى الرسائل الديوانية الصادرة عن سلاطين غرناطة فمعظمها عهدود صداقة ومودة مع ملوك المغرب الأقصى خاصة مع بني مرين، ثم مع ملوك أراجون وقشتالة، محددة العلاقات الدبلوماسية معهم، امتازت معظمها ولاسيما في عهد الغني بالله بالإطناب، والمبالغة المفرطة، والإكثار من الصور البلاغية والبيانية.

ثم أنه لم يكن كاتب الديوان وحده المختص بكتابة الرسائل الديوانية، بل أحيانا نجد الخلفاء والأمراء يشاركون إما في صياغتها، أو في إنشائها بخط أيديهم، من ذلك ما أملاه عبد الرحمن الداخل على كاتبه إلى سليمان بن يقظان الأعرابي لتقصيره¹⁶.

كما كتب الأمير أبو الربيع سليمان الموحدي بخط يده رسالة إلى ملك غانة ينكر عليه إعاقة تجار المغرب¹⁷، ومنها أيضا البيان الذي أذاعه الخليفة المأمون الموحدي إلى كافة الأقطار والأمصار لما نكث جماعة من الموحدين بيعته وثاروا ضده، وتمركزوا في بلدة أندوجر¹⁸.

أنواع الرسائل الديوانية :

رسائل البيعة :

إن المتصفح في تاريخ فتح الأندلس، والمطلع على مختلف الوثائق الرسمية يبدو له جليا أن اليهود من نشر الإسلام والجهاد في سبيله، لم تخلف لنا وثائق في مجال البيعة من الفاتحين الأوائل، خاصة أن المغرب والأندلس كانا تابعين للحكومة المركزية في المشرق، وكان لهذا التقسيم الإداري خصوصياته.

وبدخول عبد الرحمن بن معاوية الأندلس اجتمع الناس إليه، وأطاعوه، وانقادوا إليه ثم بايعوه بيعة عامة بقرطبة سنة ثمان وثلاثين بعد المائة 138هـ، إلا أن نص هذه البيعة غير متوفر ومعظم الوثائق المتوفرة لدينا في هذا المجال هي رسائل البيعة بولاية العهد، وتكون عادة لمن يتوسم فيه القدرة على شد زمام الملك.

وأهم ما تشتمل عليه رسائل البيعة، أركانها، وشروطها، وتعزز بنصائح ووصايا، وتكون فيها الإشارة إليها كطريقة تأديتها وهي إما أن تكون عهدا يلزم به المبايع له مع الله، أو تكون قسما، أو صفقة يمين، من هذه الرسائل: نص بيعة عبد الكريم بن يحيى صاحب عدوة الأندلس للحكم المستنصر عقب رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة 363هـ بمحضر من علماء البلد وفقهائه، وأهل الفضل منهم الذين ألزموا أنفسهم الطاعة، والتزموا الأيمان المؤكدة: "بسم الله الرحمان الرحيم، كتاب بيعة عبد الكريم بن يحيى، وجماعة الأندلس بني عمه من أهل حاضرة فاس، كتبوه وثيقة، وحجة على أنفسهم، واشهدوا الله وملائكته، وأنبياءه ورسله، وأولي العلم من خلقه، ومن حضر من جماعة المسلمين أنهم بايعوا الله عزوجل، والإمام العدل الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين، وألزموا أنفسهم طاعته ليولوا من والاه، ويعادوا من عاداه، وينصروا من نصره" ¹⁹...

وختمت البيعة بالتذكير بالوفاء بالعهد، على أن يطيعوا أمير المؤمنين وجعلوا ذلك عهدا على الله "... وأن لا تتم ديانتهم إلا بالتصحيح لإمامهم واتباع أمره والوقوف عند نهيه، فعند أدائهم الطاعة يسلم لهم دينهم، ودنياهم، وأخرتهم، وأولاهم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما".

إلى جانب هذا النص الصريح بالبيعة، وما اشتملت عليه من خصوصيات، فإنه حري بنا أن نشير إلى نوع آخر من رسائل البيعة، ألا وهي رسائل البيعة بولاية العهد، وهي إما أن تكون عبارة عن وصية استخلاف، أو تكون بيعة قائمة لولي العهد، وهي نوع من العهود

يضمنها الحكام في أواخر مدة حكمهم، الآراء والنصائح التي يودون أن يستضيء بها، ويسير على هديها من يرث عنهم قيادة البلاد²⁰، من هذا النوع نستدل بما خلفه الحكم الربضي لابنه عبد الرحمان الأوسط قبل وفاته، وهي وصية تمثل دستور الحكم، وأساليب تسيير شؤون الدولة، مما جاء فيها: "إني وطدت لك الدنيا، وذللت لك الأعداء،.. وأفوت عليك الخلاف والمنازعة، فأجر على ما نهجت لك من الطريقة.. فاحسم عللهم ببسط العدل لكافتهم واختتام أولى الفضل والسداد لأحكامهم وعمالاتهم دون أن ترفع عليهم ثقة الهيبة.. ولا تدعن مجازاة المحسن بإحسانه، فإنه عند التزامك لهذين ووضعهما يرغب فيك، ويرهب منك..."²¹، وختم وصيته لخليفته باطمئنانه لما يتوسم فيه من أخلاق، فقال "فقد هان علي الموت إذ خلفني مثلك" وبعد وفاة الحكم الربضي أصبح عبد الرحمن الأوسط حاكما وأميرا على الأندلس، فلما استلم الإمرة بعث في إخوته وأهله ووزرائه فبايعوه، وبايعته العامة، ثم صلى على أبيه الحكم، فما قضى صلاته ووراه جلس الأرض مطمئنا ثم افتتح قائلا بعد حمد الله: "و كان مصابنا بالإمام -رحمه الله- مما جلت به المصيبة، وعظمت به الرزية، فعند الله نحتسبه وإياه نسأل إلهام الصبر... وعهد إلينا فيكم بما فيه صلاح أحوالكم ولسنا ممن يخلف عهده، بل لكم لدينا المزيد، إن شاء الله"²².

مقائيد الولاة والقادة والقضاة:

في العهد الأول للفتح الإسلامي كان تعيين الولاة في المغرب والأندلس تابعا للحكومة المركزية في المشرق اعتنى الفاتحون خلاله بالتقسيم الإداري، فجعلوا الأندلس أربع ولايات كبيرة على رأس كل منها حاكم محلي يعينه الحاكم العام، ويسأل أمامه مباشرة عن أعماله وشؤون إدارته، أما حاكم الأندلس أو واليها العام، فكان تعيينه في البداية "راجعا إلى حاكم إفريقية يختاره بموافقة الخليفة"²³، ثم أصبح تعيين الولاة من طرف الخليفة مباشرة بعدها أصبحت الأندلس ولاية مستقلة عن إفريقية في عهد عمر ابن عبد العزيز.

وأهم ما يميز هذه الفترة كثرة تداول الولاة، حصر عددهم المقري بثمانية عشر واليا²⁴، وبمجيء عبد الرحمن الداخل وإقامته لأركان دولة أموية في الأندلس إحياء منه لتراث أسرته المندثر في المشرق، كان من البديهي أن يصبح الحكم فيها وراثيا، بعد اختياره لولاية العهد ابنه هشام وقد بويغ له سنة اثنين وسبعين ومائة 172هـ.

ثم انتثر سلك الخلافة بقيام دول الطوائف إذ أصبحت الأندلس دويلات لكل منها حاكم مستقل، وبقيام دولة المرابطين ثم الموحدين في المغرب والأندلس، أصبحت مراکش

تمثل السلطة المركزية، يتعين من قبلها الولاة وفق مقاييس أهمها " أن يكون من الأسرة الحاكمة، ومن ذوي قرياهم، أو من القبائل المؤسسة للدولة"²⁵.

فقد أصبحت الدولة المرابطية وراثية منذ أن اختار يوسف ولده عليا لولاية عهده سنة ست وتسعين وأربعمائة 496هـ، وحذا حذوه في ذلك علي فاختر ابنه تاشفين سنة ثلاث وثلاثين وخمسائة 539هـ لولاية العهد من بعده، وكانت مناصب الولاية المحلية بالأندلس وقفا على الأمراء والقادة المرابطين ولاسيما ذوي القربى منهم²⁶، فسير بن أبي بكر فاتح إشبيلية ثم واليها، ومحمد بن الحاج والي بلنسية ثم سرقسطة، ومن بعده يحيى بن غانية، والأمير أبو محمد مزدلي والي قرطبة، وهو من أبناء عمومة يوسف، كما أصبحت الدولة الموحدية وراثية من قبيلة كومية منذ أن أعلن عبد المؤمن بن علي ولاية عهده لابنه البكر محمد سنة 549هـ، وبخلعه تعاقبها أبنائه الواحد تلو الآخر، وهو لم يكتف بتعيين ولده وليا لعهد بل خطا خطوة أخرى هي تولية أولاده حكم البلاد، ولده السيد أبا عبد الله محمد لحكم بجاية وأعمالها، وولده أبا الحسن بحكم فاس وأعمالها، والسيد أبا حفص لحكم تلمسان، أبا سعيد لحكم سبتة، ومالقة، والجزيرة الخضراء، ويوسف لحكم إشبيلية²⁷ وبعد انهيار الحكم الموحي أصبحت مملكة غرناطة أيضا وراثية من بني نصر تعاقب على حكمها من أبناء يوسف بن نصر وأحفاده نحو عشرين ملكا.

ومنها كتاب علي بن يوسف بن تاشفين يعين بموجبه يحيى بن أبي بكر واليا على سبتة جاء فيه: "كتابنا، أبقاكم الله وأكرمكم بتقواه ويسركم بما يرضاه وأسبغ عليكم نعماءه، وقد رأيت-والله بفضلله يقرن جميع آرائنا بالتسديد، ولا يخلينا في كافة أعمالنا من النظر الحميد- أن نولي يحيى من مدينة فاس وسبتة، وجميع أعمالهما..."²⁸ ثم يشير إلى أنه اختاره بعد اختبار وتدريب، لذا توجب طاعته، واتباع أوامره: "...فأنفذنا ذلك له لما توسمنا منه مخايل النجابة قبله، ورضيناه لمن نرجو أن يجتذيه ويمثله ويجري عليه قوله وعمله، ونحن من وراء اختياره، والفحص عن أخباره فإذا وصل إليكم خطابنا فالتزموا له السمع والطاعة والمشايعة جهد الاستطاعة..."

مقاييد تعيين القضاة:

وهي من المناصب التي أولاها الحكام أهمية كبيرة، وكانوا يتحرون في اختيار القائمين عليها أن يكونوا من رجال الدين والورع لما يتوقف عنها من تطبيق الشريعة، واتخاذ الأحكام المختلفة في أمور الدنيا والدين، لذا نجدها لا تخلو من تذكير بإحقاق الحق وإبطال

الباطل والتزام العدل وتحريه بين الخصوم، وغيرها من المعاني التي تعين القاضي في مهمته، ولنا أن نتصفح بعض الرسائل الديوانية التي يتعين بموجبها القاضي منها مرسوم أصدره عقبة بن الحجاج السلولي يجعل المهدي بن مسلم قاضيا في قرطبة مما جاء فيه: "باسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به عقبة بن الحجاج إلى مهدي بن مسلم حين ولاه القضاء، عهد إليه الله وإيثار طاعته واتباع مرضاته في إسراره وعلا نيته مراقبا له مستشعرا لخشية الله معتصما بحبله...²⁹، ونظرا لأهمية القضاء كان من الضروري أن يذكره بالأسس الشرعية التي لا بد أن يقف عند حدودها، ولا يتجاوزها في إصدار الأحكام إذ عليه: "أن يحاسب نفسه في يومه وغده فيما تقلد من الأمانة الثقيل حملها الباهض عبؤها... وأمره أن يواسي بين الخصوم بنظره واستفهامه ولطفه ولحظة.. وأمره أن يكون وزراؤه وأهل مشورته، والمعينون له على أمر دنياه وآخرته، أهل العلم والفقه والدين والأمانة...".

رسائل تولية القادة:

ومن المقاليد التي كانت لها أهمية كبيرة، تولية القادة، ذلك أن الجبش الإسلامي في جهاد مستمر لرد عدوان النصارى، مما وجدناه في هذا الباب، توقيع الحكم بترفيه مولاه غالب وجعله قائدا أعلى للجيش جاء فيه: "... ورأينا أن نوقع اسم القيادة العليا على غالب مولانا لغنائه وجميل مقامه، فلا يخاطب من الآن إلا به تشريفا له إن شاء الله³⁰ .

ومن مقاليد القادة مرسوم أصدره سلطان غرناطة محمد الخامس يقلد بموجبه الشيخ أبي العلاء إدريس مشيخة الغزاة في مالقة من إنشاء ابن الخطيب، مما جاء فيه: "... أمر به وأمضاه وأوجب أمير المسلمين، أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر.. لوليه في الله الذي سنأه مولاه من جميع اعتقاده.. الشيخ أبي العلاء إدريس بن الشيخ أبي سعيد عثمان... فقدمه- أعلى الله قدمه وشكر آلائه ونعمه- شيخ الغزاة والمجاهدين... الدفاع عن الدين بمدينة مالقة- حرسها الله- يقود جميعها إلى الإصدار والإيراد حتى يظهر على تلك الجهات المباركة آثار الحماية والبسالة.."³¹،

رسائل الفتوحات:

هي من الرسائل الرسمية وتعتبر كما قال القلقشندي "من أهم المكاتب خطرا، وأجلها قدرا لاشتغال أغراضها على إنجاز وعد الله تعالى الذي له أهل الطاعة في إظهار دينهم على كل دين"، وتشتمل هذه الكتب على ذكر همة المسلمين لنصرة الدين، واستعدادهم

للنيل من عدوهم، والتنكيل به أشد تنكيل ثم يذكر الواقعة وما جرى بين الفريقين من قتال ومجاهدة، وتختتم بالنتيجة وهي النصر على أعداء الله.

من رسائل التهنة بالفتوحات رسالة كتبها أبو محمد بن عبد الرحيم الموفق أبي الجيش مهنئاً المعتضد بأخذ مدينة شلب: "كتابي- أعزك الله- عن حال قد طال جناحها، وآمال قد أسفر صاحبها ويد قد اشتد زندها، ... بما وردني به كتابك الكريمان أعزز بهما من جميل صنع الله لك بحصول قاعدة شلب وذواها في قبضتك، واستدراء ذلك الأفق بظل طاعتك، وخروج صاحبها عنها من غير عقد عاصم، ولا عهد لازم..."³²

رسائل الجهاد:

هي تلك الرسائل التي تحث على الجهاد مبينة أهدافه وأبعاده، شارحة بواعثه وفضائله، وهي تهدف كما ذكر القلقشندي إلى إعزاز الكلمة وإسباغ النعمة بإظهار هذه الملة، وما وعده الله من نصر أوليائه وخذلان أعدائه³³، من الرسائل التي تحث على الجهاد الكتاب الذي وجهه ومنها النداء الذي وجهه الغني بالله محمد الخامس سلطان غرناطة على لسان بن الخطيب يستنفر فيه للجهاد في أرض الأندلس بعد أن زحفت أحزاب الطواغيت، ومد الصليب ذراعه فكانت صرخة لإنقاذ الدين جاء فيه: "... وهو دينكم فانصروه، وجواركم فلا تخفروه، وسبيل الرشd قد وضح فتبصروه، الجهاد الجهاد فقد تعين، الجار الجار فقد قرر الشرع حقه وتبين.. الله الله في وطن الجهاد في سبيل الله، فقد استغاث الدين فأغيثوه، قد تأكد عهد الله وحاشاكم أن تتكثوه..."³⁴

التوقيعات:

هي من الرسائل الديوانية، تملأ مباشرة على الكاتب، وهي كما أشار إليها الكلاعي بقوله "عدلوا فيه عن التطويل والتكرار إلى الإيجاز والاختصار"³⁵، وهي عبارة عن جواب يكتب عادة في ظهر الرسالة الواردة إلى الديوان وتتصف بالبساطة والبعد عن التكلف أو التعقيد³⁶ ويكون جوابا سريعا يتضمن قولاً مأثوراً أو آية قرآنية أو حديثاً نبوياً، كما يتضمن الشعر والأمثال.

من التوقيعات رسالة جوابية من عبد الرحمن الداخل لشخص قريشي وفد عليه، وكتب إليه يستعظم حقه بالرحم ويستغل حظه منه بالمطمع، فوقع في ظهر جوابه ما نصه:

شأن من قام ذا امتعاض منتضى الشفرتين نصلا

فجواب قفرا وشق بحرا مشاميا نجة ومحلا

فشاد مجددا وابد ملكا ومنيرا للخطاب وفصلا³⁷

ومنها جواب الأمير عبد الرحمن بن الحكم إلى أحد عماله سألته وظيفة رفيعة، ولم يحسن التعبير عن رغبته فوقع له: "من لم يصب وجه مطلبه، كان الحرمان أولى به"³⁸.

رسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد قامت دولة الإسلام في الأندلس على أساس الجهاد والتمكين للدين، فكان لزاماً أن تتشر تعاليمه وتنفذ أوامره، ويكف عن نواهيها، وقد خص الله تعالى الفئة المؤمنة بقوله: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)³⁹، لذا حرص الخلفاء والأمراء على التزام أوامر الله فوردت عنهم الكتب إلى الولاة، والقادة، والقضاة وغيرهم في الفرق بالوعية وإقامة الشعائر الدينية من صلاة وزكاة.. ومحاربة البدع والمسكرات...ومنها رسالة تاشفين إلى قاضي بلنسية وفقهائها ووزرائها وعامة سكانها وذلك بعد أن أصبح أميراً للمسلمين: "...والذي نأخذ به عهد الله على العامل منكم الفرق بالوعية، والحكم بالسوية وإجراء أمورها على السبل الحميدة المرضية..."⁴⁰.

رسائل إلى المقصرين والخارجين على الطاعة:

لم يزل ملوك الأندلس وسلطينها يحاربون الفتن والاضطرابات الداخلية، ويضيقون على أهل الجرائم والخارجين على الطاعة، لاسيما وأن دواعي الثورة على السلطة المركزية والتمرد على الأمراء الحاكمين كثيرة، فقد أدرك هؤلاء الحكام خطورة هذه الظواهر فكانوا يسارعون مخاطبة الثائرين لإخماد ثوراتهم، وهنا اختلفت معاملة الحكام فتارة بالتركيل والتعذيب، وتارة بالسماحة والغفران، كما أنهم لم يتركوا مجالاً للمقصرين فيخاطبونهم بالوعيد والتهديد، ويعنفونهم أشد تعنيف، نلمح ذلك في رسالة عبد الرحمن بن معاوية إلى أحد عماله وقد قصر عن عمله حيث عنفه بقوله: "أما بعد، فإن يكن التقصير لك مقدما، فعد الاكتفاء أن يكون لك مؤخرا، وقد علمت بما قدمت، فاعتمد على أيهما أحببت"⁴¹.

ولعلي بن يوسف رسالة أخرى وجهها إلى جند بلنسية لتهاونهم في إنجادهما وإنقاذها من ملك أرغون الذي هاجمه سنة 513هـ فكانت رسالته أشد تعنيفا وتوبيخا، مما جاء فيها: "...يا فرقة خبثت سرائرها، وانفكت مرائرها، وطائفة انتفخ سحرها، وغاص على حين مدة بحرها، فقد آن للنعم أن تفارقكم وللأقدام أن تطأ مفارقكم حين ركبتموها جلواء عارية،

وأصبحتم في إدرء عارها أمثالا سواسية..⁴²، وختم توبيخه لهم بتهديدهم بإرجاعهم إلى الصحراء ليظهر الجزيرة منهم فقال: " لقد آن أن نوسعكم عقابا، وأن لا تلووا على وجهه نقابا، وأن نعيدكم إلى صحرائكم ونطهر الجزيرة من رحضائكم.."

كتب الشكاوي والاعتداءات:

تنبئ كتب الاعتداءات والشكاوي عن معالم المجتمع إبان الحكم الإسلامي في المغرب والأندلس، وهي صورة واضحة عن حال الرعية وما كانت تلاقيه من اعتداء سواء من الحكام أو من الممالك المجاورة، منها رسالة بدر إلى عبد الرحمن الداخل بعد أن أطرحة وهجره وجفاه، جاء فيها: "... أما كان جزائي في قطع البحر وجوب القفر، والإقدام على تشيت نظام مملكة، وإقامة أخرى غير الهجر الذي أهانني في عيون أكفائي وأشمت بي أعدائي، وأضعف أمري ونهي عند من يلوذ بي، وبتر مطامع من كان يكرمني ويحضرني على الطمع والرجاء"⁴³.

المعاهدات:

لم تكن فترة تواجد المسلمين بالأندلس كلها حرب وجهاد، بل اتسمت إلى جانب ذلك بعلاقات ودية مع الدول المجاورة، قد تنقطع باعتداء مفاجيء، أو انتهاك بنود الاتفاق، وهي تعتبر فترة لتصفية المشاكل الداخلية، والمعاهدات على نوعين منها ماهو صداقة وصلح ومودة ومنها ماهو للتسليم ويكون ذلك بسقوط مدينة وبعد حصار شديد.

أما النوع الأول: فلنا فيه أمثلة كثيرة أولها الرسالة الجوابية من الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى إمبراطور بيزنطة ثيوفلس ومما جاء فيها: "أما فقد بلغني كتابك تذكر فيه الذي كان عليه من مضى منكم لأولينا في المودة الصادقة، وإنه قد دعاك ذلك إلى مكاتبتنا وإرسال قرطوبوس KARTIVS رسولك إلينا لتجديد تلك المودة، وترتيب تلك المصادقة... ونبعث رسلا من عندنا إليك ليعلموك بالذي نحن عليه من الرغبة فيما حضضت عليه، ودعوت إليه، لنثبت بقدمهم عليك مودتنا ونتم به صداقتنا"⁴⁴.

أما النوع الثاني: من المعاهدات فهي اتفاقيات التسليم وتشمل على بنود يتفق عليها الطرفان منها ما اتفق عليه أهل طليطلة مع الملك ألفونسو السادس على تسليم بلدانهم له لقاء شروط منها: " أن يسلم القصر، وأبواب المدينة، والقناطر، وحديقة الملك إلى الملك ألفونسو، وأن يذهب الملك المسلم حرا إلى مدينة بلنسية وفقا لرغبته، وأن يسمح له بالحرية لمن شاء أن يتبعه

من المسلمين، وأن يأخذوا معهم أموالهم، وأن يبقى المسجد الجامع بأيدي المسلمين يقيمون فيه شعائهم، وألا تقترض عليهم ضرائب أكثر مما كانوا يدفعونه لملوكهم...⁴⁵

أثر القرآن الكريم في الكتابة الديوانية :

يمكن القول أن مختلف الرسائل الديوانية على امتداد الفترة 92هـ/897هـ نجدها عالجت مواضيع مختلفة، وبطرق متنوعة تجعلنا نستجلي أهم خصائص الحكم الإسلامي في الأندلس، هذا من جهة ومن جهة أخرى تمكنا هذه الرسائل كوجه من أوجه النثر الفني من التعرف على أساليب الكتاب ومنهجهم في الكتابة وكان من أبرز الملاحظات التي نوجزها في هذا البحث هي مدى تأثر الرسالة الديوانية بالقرآن الكريم وما تحمله من اقتباسات في هذا المجال. وهي تمكنا من معرفة النص النثري ومدى انفتاحه على مرجعيته القرآنية والكيفية التي تم بها سواء أكان مستشهدا به أم متداخلا معه أم آخذاً منه مما يسمح للنص النثري أن يكون على مستوى عالي من المثالية و الفاعلية المكتسبة من النص القرآني. إن أثر القرآن الكريم في النثر الأندلسي عموما والرسالة الديوانية خصوصا هو عنوان لتعزيز الهوية العربية الإسلامية التي باتت مهددة في ظل وضع سياسي قلق وعلى نحو مستمر منذ أول خطوة خطاها العرب فاتحين جزيرة الأندلس.

معنى الاقتباس :

تعتبر الرسالة الديوانية نموذجا واضحا عن الحياة السياسية والاجتماعية في المغرب والأندلس، لذا نجدها تحمل من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال العربية العدد الوافر. لاسيما وان الأندلسيين منذ الوهلة الأولى اهتموا بالتربية الدينية واعتنوا بمراكزها من مساجد، وكتاب، ومكتبات آخذين بعين الاعتبار تربية وتنشئة الأبناء على الدين الإسلامي والأخذ من مناهله، فكثر الوعاظ والفقهاء كان لها الدور الكبير في تذكية الروح الإيمانية بالإرشاد، والتذكير، وتلاوة القرآن، ومدارسه حتى تخرج العديد من هؤلاء كحفظه له، أو مفسرين لكتاب الله أو متخصصين في القراءات المختلفة التي افتخرت بها المدرسة الأندلسية.

وإذا نظرنا إلى ظاهرة الاقتباس لاسيما من القرآن الكريم نجد الاستشهاد به في وقائع مختلفة ومواضع متعددة، وذلك بأشكال متنوعة وأساليب مختلفة.

ومعنى الاقتباس "هو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو من آيات كتاب الله تعالى خاصة"⁴⁶. وهذا ما جعل للكاتب صفة تلازمه وهي حفظ القرآن الكريم، "وملازمة درسه، وتدبر معانيه حتى لا يزال مصورا في فكره، دائرا على لسانه، ممثلا في قلبه،

ذاكرا له في كل ما يرد عليه من الوقائع التي تحتاج إلى الاستشهاد به فيها"⁴⁷، والملاحظ على مجموع الوثائق الديوانية أن ظاهرة الاقتباس فيها أخذت أوجها منها:

فألوجه الأول:

أن ترد الآية جوابا عن رسالة، وهذا النوع يرد غالبا في رسائل التوقيعات، كما جاء في رسالة جوابية من ابن زيري الصنهاجي صاحب غرناطة إلى الخليفة المرتضى ردا عليه عندما دعاه إلى طاعته، فقلب الكتاب ووقع على ظهره: " ((قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين))"⁴⁸.

وقد كانت بينهما مراسلات فرد ابن زيري ثانية على الخليفة المرتضى بقوله تعالى: ((ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلاً سوف تعملون ثم كلاً سوف تعملون كلاً لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونه عين اليقين...))⁴⁹.....⁵⁰. حدث أن بعث ألفونسو إلى أمير المؤمنين المنصور الموحي يستدعيه فيه للقتال لما أدركه من الإعجاب والخيلاء يقول فيه⁵¹:

"... أما بعد، فإن كنت عجزت عن الحركة إلينا وتناقلت عن الوصول والوفود علينا، فوجه لي المراكب والشايطي أجوز فيها إليك حتى أقاتلك في أعز البلاد عليك فإن هزمتني فهدية جاءتك إلى يدك فتكون ملك الدينين، وإن كان الظهور لي كنت ملك الملتين والسلام". فلما قرأ المنصور كتابه أخذته الغيرة على الإسلام ثم أمر بقراءته على الموحدين والعرب وقبائل زناتة والمصامدة وسائر الأجناد، فقرأه عليهم وعزم على الجهاد واستعد للسفر ثم دعا المنصور بولده محمد ولي عهده فدفع إليه الكتاب وأمره أن يرد على اللعين الجواب فقرأه، ثم قلبه على ظهره: قال الله العظيم: ((ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون))⁵² ورمى الكتاب إلى أبيه فسر بالتوقيع.

ومن ذلك ما وقع به المنصور إلى قوم بالغوا في الشكوى إليه بعيد الله بن موسى وهو ممن أحسن إليه أيام كونه بسوس قبل ولايته⁵³: ((لا يستوي من أنفق منكم من قبل الفتح وقاتل)).

ومن توقيعات الخلفاء ما كتبه الخليفة عبد المؤمن بن علي موقعا على قصيدة كاتبه ابي جعفر بن عطية (أيام محنته) إذ أرسل أبو جعفر وهو سجين قصيدة يستعطف بها الخليفة عبد المؤمن ليمن عليه بالعفو والصفح منها قوله: عطفاً علينا أمير المؤمنين فقد

بان العزاء لفرط البث والحزن

قد اغرقتنا ذنوب كلها لجج

ورحمة منكم انجى من السفن

والقصيدة في اثني عشر بيتاً، غير أن الخليفة عبد المؤمن لم يستجب لدعوته ووقع على رقعة القصيدة بالآية القرآنية الكريمة ((الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ))⁵⁴ ومنها ما ورد عن الخليفة يعقوب المنصور بأنه طلب من بعض اعيان دولته رجلين لتأديب ولده ليكون احدهما براً في عمله والاخر بحراً في علمه، فجاءه بشخصين زعم انهما على وفق مقترح المنصور فلما اختبرهما لم يجدهما كما وصف، فكتب إلى الآتي بهما ((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالتَّبْحَرُ))⁵⁵.

والوجه الثاني:

أن ترد الآية بنصها الكامل ضمن الخطاب الرسمي، مثل ما أورده الخليفة عبد الرحمن الناصر الأموي في البيان الذي أذاعه محذرا من عقيدة ابن مسرة، مما جاء فيه: "... ولم يقبل من عباد غيري، ولا رضي منهم سواه، فقال في محكم تنزيله: ((ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه...))⁵⁶.. إذ عرفنا فضل ما هدانا إليه من الدين، وكرمنا به على سائر الأمم ((كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر))⁵⁷.... وكراهته لاختلافهم بعد رسول الله ﷺ: ((شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا، والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه...))⁵⁸. فبريت منهم الذمة بقوله تقدست أسماؤه: ((ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون...))⁵⁹ 60". وعلى هذا النحو جاءت رسالة ابن تومرت في تحريضه لقتال المرابطين: "... فاجتهدوا في قتال الكفرة وأعوانهم، واطلبوا غرتهم بالليل والنهار، ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم))⁶¹".

منها أيضا ما أورده ابن الخطيب في رسالة عن الغني بالله سلطان غرناطة: "... الذين كانوا كما أخبر الله تعالى عنهم على لسان الصادق الأخبار ((رحماء بينهم أشداء على الكفار))⁶²".

ومنها رسالة السلطان محمد الخامس الغني بالله إلى سلطان بني مرين يبشره بانتصاره على النصاري في إحدى غزواته من إنشاء بن الخطيب: "... فكيف إذا كان التعريف بما تهتز له منابر الإسلام أو ردوه، وتشرح الصدور منه لمواقع فضل لقوله سبحانه وتعال: " إن الدين عند الله الإسلام"⁶³ وقوله: " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"^{64،65}

وهذا مثال على هذا الكتاب (كتب عن أمير المسلمين السلطان أبي عبد الله محمد ابن أبي الحجاج يوسف بن نصر بن الأحمر صاحب غرناطة من الأندلس إلى السلطان الملك الأشرف (شعبان بن حسين) ، ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، إنشاء الوزير أبي عبد الله بن الخطيب صاحب ديوان إنشاء يشير فيه إلى حادثة الفرنج بالأسكندرية الواقعة في سنة سبع وستين وسبعمائة وهي: ((..... من منزلنا المحبور ، بسعادة غرناطة، دار ملك الجهاد بجزيرة ثغر الأندلس، وإلى الله عنها الدفاع ، والنار بمشكاة نوره.⁶⁶ .. حتى تشفع بتهانيكم الأوتار وتوتر الأشفاع⁶⁷ ، وآلاء الله لدينا ، بنعمة دين الإسلام علينا....))⁶⁸ ،

إلى قوله : (بين ربهم الذي يقصدونه من كل فج عميق⁶⁹ ويركبون إليه نهج كل طريق ... والله من ورائهم محيط⁷⁰ ، وبدمائهم مشعط، وعباده يصير ولدينه الحق ولي نصير (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)^{71،72})).

وقوله: (فَقَلِّبُوا هَٰذَا لَكُمْ وَانْقَلِبُوا صَٰغِرِينَ)⁷³ ، وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين⁷⁴ ، (وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين)⁷⁵ ومجلس صنيعة راق عيون المؤمنين جمالها، فاهتزت بها الأرض وربت⁷⁶ ، ويشكر الله جل جلاله أعربت⁷⁷)).

أما الوجه الثالث:

فهو تضمين الآية القرآنية دون الإشارة إليها على أن تعرف من السياق، كما جاء في رسالة إلى أهل قرطبة عن زهير العامري قائلًا: " .. وأشد هذه العصابة ابن عباد، الذي سل سيف الفتنة والبغي من قرابة، وآثار بعير الظلم من مبركة، وانتزى ببطنته شرا، ومشى في الأرض مرحا، وظن أن يخرق الأرض ويبلغ الجبال طولاً^{78،79}

ومنها ما جاء في رسالة يوسف بن تاشفين إلى تميم بن المعز: "... وحلنا دون أباطيلهم وأمانيتهم وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون.. وأملي لهم إن كيدي متين⁸⁰ 81 .

كما ضمن عبد المؤمن بن علي رسالته إلى ولد بإشبيلية آيات من سورة الكهف جاء فيها: "... فسيذوق من العذاب الأدنى مرا ، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا ، وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا⁸² 83 .

ومنها ما ورد في رسالة أبي يعقوب يوسف الموحيدي إلى شيخ الموحدين جاء فيها: "... وحزب الله يتقدم غالبا فيصرع ، ويصدع ، وقتل رجال الشقي ومشاهيره ، والروم أكثر القتلى فيهم ، فخوروا كأنهم أعجاز نخل خاوية⁸⁴ 85 .

من ذلك أيضا ما أصدره الخليفة المنصور الموحيدي ضد ابن رشد وتعليماته: "... ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ، ونشأ منهم في هذه اللمة البيضاء شياطين.. يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون⁸⁶ 86 ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا⁸⁷ 87 ، ولو شاء ربك ما فعلوه..⁸⁸ 88 .

كذلك لم تخل رسائل سلاطين غرناطة من هذه الظاهرة ، من ذلك ما أورده ابن الخطيب في رسالته عن الغني بالله: "... وحلوا بظاهر حصن أندوكر وقد أصبح مألّف أدمار غير أوشاب ، ووکید طيرنشاب ، فلما بلونا مرامه صعبا ، وأبراجه ملئت حرسا شديدا⁸⁹ 89 . شهب⁹⁰ 90 .

ومنها ما ورد في نص هذه البيعة التي اخذت على اهل شاطبة من الاندلس لابي جعفر المستنصر بالله العباسي قام بعقدها ابو عبد الله محمد بن يوسف بن هود امير الاندلس من إنشاء ابو المطرف بن عميرة. اذ يقول: ((الحمد لله الذي جعل الارض قراراً ، وارسل السماء مدراراً ، وسخر ليلاً ونهاراً ، وقدر آجالاً واعماراً ، وخلق الخلق أطواراً ، وجعل لهم ارادة واختياراً))⁹¹ 91 ، وعاهدوا عليها (اي البيعة) الذي يعلم السر واخفى⁹² 92 .

واضمروا منها على ما ابر على الظاهر واوفى وتقبلوا من الوفاء به ما وصف الله تعالى به خليله اذ قال (وابراهيم الذي وفى) واشهدوا الله على انفسكم وكفى بذلك اعتراضاً والتزاماً وشداً لما امر به واحكاماً فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ⁹³ 93 ، (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً)⁹⁴ 94 ،

مجالات توظيف العبارات القرآنية :

لقد تعددت موضوعات الرسائل الديوانية التي ترد فيها الآيات القرآنية وعند تصفحنا لمعظم المكاتبات السلطانية وجدنا انها ترد بكثرة فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات وذلك ترسيخا للشرعية في أفئدة الأندلسيين، فالاهتمام باداء الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذا الحفاظ على حقوق الرعية، وإيتاء كل ذي حق حقه باقرار العدل، والمساواة، ومحاربة الظلم والاعتداءات.

الحفاظ على الصلاة:

اهتمت الرسائل الديوانية الموجهة إلى الرعية بضرورة ايقام الصلاة على أنها الركن الركين الذي يقوم عليه الدين، يوظف خلالها الكاتب العبارات القرآنية للترغيب فيها او التهيب من تركها حتى يكون وقعها على النفس أكبر.

منها رسالة تاشفين إلى قاضي بلنسية جاء فيها: "... وأهم أموركم الصلاة التي هي سبيل النجاة لسالكها، ولاحظ في الإسلام لتاركها، فالزموها في جماعتها، ولا تخلوا بشيء من مسنوناتها ومفروضاتها، وأخلصوا فيها لله العلي الأكبر، واعلموا أنها كما قال سبحانه وتعالى: ((إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر))⁹⁵ 96.

منها رسالة المهدي بن تومرت وقد جاء فيها :

(وخذوا باقامة الصلاة التي هي الكتاب الموقوت على المؤمنين والحكم المنبوت على كل من آمن بهذا الدين والناحية عن الفحشاء والمنكر على ما ورد في الكتاب المبين، ولاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة فهو ممحوم من ديوان المؤمنين، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع من الوظائف والقوانين وتاركها ميت فخذوا من قبلكم باقامة الصلاة على ما شرعت وادائها بحسب ما فرضت))⁹⁷ ، والموضوع نفسه أورده الخليفة المستنصر الموحدي في رسالته: "... واستحفظ الكافة صلواتهم، فإنها الكتاب الموقوت على المؤمنين، وخذوهم باعتياد المساجد فإنها الشاهد الأزكى بشهادة خاتم النبيين وسيد المرسلين..."⁹⁸

والحث على الصلاة عادة ما يكون في الخطاب الاول الذي يوجهه الخليفة بعد تنصيبه حرصا منه على انه الحافظ للدين كالذي أقدم عليه ابو العلاء ادريس المأمونفي اول خطاب اذ قال: ((لاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة وهي الركن الاعظم من اركان الايمان والصور الاوثق لاعمال الانسان والمواظبة عليها وعلى حضورها في المساجد وايثار ما لصلاة الجماعة من المزية على صلاة الواحد امر لا يضييعه المفلحون ولا يحافظ عليه الا المؤمنون))⁹⁹

إيتاء الزكاة:

ومن الموضوعات التي تناولتها رسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أداء الزكاة وإعطائها لذوي الحاجة، كما أمرت الشريعة الغراء وهي تشير عادة الى مستحقيها بالصفات كذكر الفقراء والمحتاجين وابن السبيل وأحياناً تذكر أنواعها كالأموال والحبوب والثمار. مثال ذلك قال المستنصر في رسالة له بعثها في العاشر من ربيع الأول عام سبع عشر وستمئة للهجرة ((وخذوا بإيتاء الزكاة والكشف عن معانيها... فالزكاة حق المال والجهاد وواجب على من منع قدر العقال فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة... فمن منع عقلاً فما فوقه كمن منع الشرع كله))¹⁰⁰.

إشارة الى قوله تعالى ((وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ))¹⁰¹،

الاستنجاذ واستنهاض الهمم:

ومنها رسالة أرسلها إلى الأمير أبي طاهر تميم بن يوسف بن تاشفين أمير الأندلس وواليتها من قبل أخيه علي بن يوسف قاضي سرقسطة وجمهور أعيانها مستنجدين لإنقاذهم من بن ردمير لما حاصر البلدة وتخلّى عنها المرابطون، وهي صرخة استنجاذ لم تجد شيئاً: "كتابنا.. عن حال قد عظم بلاؤها، وادلهمت ضراؤها، فنحن في كرب عظيم، وجهد أليم قد حل العزا والخطب، وأظلنا الهلاك والعطب، فيا غوثاه، ثم يا غوثاه إلى الله دعوة من دعاه وأمله لدفع الضرر ورجاه.."¹⁰² وبعدها ينتقل لوصف حال المنكوبين من رجال ونساء وأطفال: "ثم يا حسرتاه على نسوة مكنونات عذاري، يعدن في أوثاق الأسارى، وعلى رجال أضحوا حيارى بل هم سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، والضر الذي مسهم عظيم جهيد..." ويختم كتابه بمخاطبة أمير المسلمين مستغيثاً به ليدافع عن أولياء الله في الأندلس: "... فإلى الله بك ثم إلى رسوله المصطفى، ثم إلى ولي عهده أمير المسلمين المرتضى، حين ابتعتك بأجياده، وأمدك بالجمع الغفير من أعداده، نادبا إلى مقارعة العدو المحاصر لها وجهاده، والذب عن أوليائه المعتصمين بحبل طاعته..."

الدعوة إلى الجهاد:

تعتبر أرض الأندلس أرض رباط وجهاد إذ لم تنفك المدن الأندلسية من إغارات العدو المتربص بالمسلمين فالتأهب للدفاع عن الدين ضرورة حتمية تجعل الكاتب يذكر بمعاني الجهاد وانه نصره لدين الله يدفعهم بذلك إلى إعلاء كلمة الله مرغبا في الجهاد.

منها ما جاء في رسالة الناصر الأموي: "... واستعزم الله أمير المؤمنين ليلته، واستخاره عن رحمته في النهوض إلى مدينة "ثانت مانكش" دار الكفرة، ومجمع النصرانية إلى أن استركن عدو الله وضافت الحيل عليهم ووثقوا بحصانته ليعلمهم أن كلمة الله في إظهار دينه ونصر أوليائه وإعزاز خلفائه في مشارق الأرض ومغاربها ولو كره الكافرون..¹⁰³

ومن المعاني التي اشتملت عليها رسائل الجهاد التبشير بالجزاء الحسن في الدنيا والآخرة كرسالة أبي يعقوب يوسف الموحي إلى أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بغرناطة سنة 563هـ، يحث فيها على إخلاص النية في الجهاد مبشرا الصادقين بالجنة.

".. هذه كلها مقدمات بين يدي ما ينوي من الغزو الأعم، والجهاد الأثم الذي يحق لله به الباطل، ويعفي أثره ويعدم عينه على ما وعد إنه لا يخلف الميعاد، فاشكروا الله على ذلك، واستبشروا وبشروا إخوانكم بجميع جهاتكم وانظاركم بإقبال هذا الخبر.. وأجدوا في الجهاد بنيات خالصة، وعزمات صادقة، وكونا على أتم التعاون، وأوفى التعاضد، واستشعروا الإقبال، وصالح الأحوال...¹⁰⁴

الاستعطاف:

قد تضيق بكاتب الديوان ضائقة أو من له صلة بالديوان فتحيله عن منصبه أو قربه من الخليفة فيحاول مستعطفا دفع الضرر عن نفسه لاستعادة مكانته فيجيد بخطه ما عجز عنه لسانه. فيجد من معاني القرآن العبارات الأوفى حتى يلمس بها شغاف قلب الخليفة أو الأمير. وقد وجد ابن عطية في أسلوب الخيال طريقا يستعطف به عبد المؤمن الذي جد في البحث عنه ليتنفذ حكمه فيه، فتواترت رسائله على الخليفة في العفو والاستعطاف بأسلوب فياض بليغ من رسائله في هذا الشأن: "... تالله لو أحاطت بي كل خطيئة، ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة، حتى سخرت بمن في الوجود، وأنفت لأدم من السجود، وقلت أن الله لم يوح في الفلك إلى نوح، وأبرمت لاحتطاب نار الخليل حبلا، وبريت لقدار ثمود نبلا، وحططت عن يونس شجرة اليقطين، وأوقدت مع هامان على الطين...¹⁰⁵

التمسك بالدين:

مافتئ الخلفاء والأمراء يذكرون بضرورة إقامة الشرع والتمسك بالدين في الربوع الأندلسية لما كان يطرأ على أخلاق المسلمين من مفاصد أو انحلال يؤدي إلى سخط الله وبما أنهم حفظة الدين فمعظم رسائلهم تعرج على إصلاح الذات وتنمية الخوف من الله بالتمسك بشرعه وعدم الحياد عن طريقه.

منها ماجاد به المهدي بن تومرت واعظا أصحابه: ((فبادروا -رحمكم الله- الى طاعة الله في العلانية والنجوى وشدوا ايديكم على هذا الحبل الأمتن الاقوى، واعلموا انكم راحلون فتزودوا فان خير الزاد التقوى وحافظوا -اصلحكم الله- على اخلاص النيات، واصفحوا، واصلحوا، وتعاملوا بالخير... وواظبوا على تغيير المنكر... ورحم الله امرأ سمع النصيحة فابتدريها وجاهد نفسه على طاعة الله فقهرها، واخذ عليها مأخذ الشهوات فنهاها بالحق وامرها))¹⁰⁶، فنجد ان تعبير (وتَزَوَّدُوا) فإن خير الزاد التقوى، تعبير قرآني مستمد من قوله تعالى ((وتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَادِ التَّقْوَى))¹⁰⁷

ومنها ما ذكر به المستنصر في رسالته، يقول فيها: ((فاذا وقفت على كتابنا هذا فجددوا للناس به الذكرى وعرفوهم ان الدنيا مطية الى الدار الاخرى وحضوهم على العمل الصالح والتجر الرابع في ان يجعلهم الله في الدارين من اللذين لهم البشرى وبثوا في جهاتكم كلها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر... وتسلم القلوب والجوارح من الوسواس الخناس¹⁰⁸ فالوسواس الخناس جزء من آية قرآنية، ولقد جاء اسلوب هذه الكتابات متضمنة لمعاني القرآن واساليبه وهو يدل على قدرة الكتاب على حفظ التراث الديني المتمثل لا سيما في القرآن الكريم ويدل ايضاً على استيعابهم الجيد له مما يمكنهم من توظيفه في كتاباتهم.

وقد جاء في رسالة الخليفة المستنصر الموحي الى قواعد المغرب والأندلس سنة سبعة عشر وستمائة (617هـ) بوجوب التمسك بالدين، واتباع أحكام الشرع جاء فيها: "... فقد علمتم أن الدين هو الأساس الوثيق، والبناء العتيق، والفسطاط المضروب، والعلم المنصوب، والمتجر الذي لا يبور، والطريق الذي لا يحور من استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن تحصن به فقد تحصن بالمقل الأ حصن الأرقى..."¹⁰⁹

منها الرسالة التي كتبها ابي عبد الله محمد ابن الابار عن الامير ابن مردنيش احد الثوار المتصرفين في بلنسية بمناسبة توليه والي عليهم جاء فيها ((اما بعد فالكتاب كتب الله لكم ملء الجوانب قراراً، وارسل عليكم سماء المواهب مدراراً، من فلان... وجه اليكم فلان والياً عليكم، وثاويماً لديكم وهو ممن خبرت كفايته وارتضيت لجبر احوالكم سياسته وشكر هنا فاوثرتم به هنالك وامضي معه من الاجناد طائفة يحسنون الدفاع والزيادة ولايفارقون الجد والاجتهاد، ووراء هذا من كريم العناية وجميل المنظر، ما يقتضي لكم بالفلح والظفر))¹¹⁰

فمن الالفاظ القرآنية التي وردت في هذا النص ((ارسل اليكم السماء مدراراً)) جاءت في قوله تعالى ((يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً))¹¹¹ ،

ومن الامثلة الاخرى على هذه الصيغة رسالة ابن عطية المسماة برسالة الفصول التي جاءت كاملة في كتاب نظم الجمان¹¹² ، اذ يقول فيها ((فالحمد لله ، وهو اللطيف الكريم... وعلى محمد نبيه المصطفى الصلاة المباركة والتسليم ولامته المخلصة في عليين كتابها المرقوم والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الذي بعثه رحمة للمؤمنين... وكتابنا هذا ، وكتب الله تعالى لكم كل رأفة ورحمة وسوغكم من اليمن والامن انعم نعمة ، وجعلنا واياكم فيمن قدم لدار قرار ونعمة ، من الحضرة العلية بتينمل ، حرسها الله تعالى لكم كل رأفة ورحمة وسوغكم من اليمن والامن انعم نعمة ، وجعلنا وقد وصلنا (والحمد لله) وجناح الرحمة مخفوض))¹¹³ ، ومن الالفاظ القرآنية (وجناح الرحمة مخفوض) من قوله تعالى ((وَآخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ))¹¹⁴ .

وله ايضا رسالة وجهها الى الطلبة والموحدين والاشياخ والكافة بفاس وعملها يقول فيها : ((الحمد لله الفتاح العليم ، المنزه بسلطان العقل عن التثريب والتجسيم حمداً يكون الى العوارف سعيداً ، الواحد الذي استحال عليه جواز العدد واتخاذ صاحبة والولد فتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً القاذف بالحق على المبطلين وبالصدق على المكذبين... والصلاة على سيدنا محمد بقية الرسل شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ، ومطلع الآيات الكبير ، على مراقب السمع والبصر فطوبى لمن كان سميعاً بصيراً ، والمجاهد بجيش القرآن ، من دعاهم الى السجود للرحمن ، فقالوا (أنسجد لما تأمرنا ، وزادهم نفورا) ، وكاسر الصلب والاصنام... وعلى آله وصحبه الذين اتبعوه ، قولاً وفعلاً ، فكان فاصلاً وسيفهم فاصلاً ، ولوأؤهم منثوراً ، والرضا عن الإمام المعصوم والمهدي المعلوم ، معيد الحق وقد اتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً))¹¹⁵ ، فقد استخدم الكاتب الايات القرآنية بمعانيها فجملة (أنسجد لما تأمرنا ، فزادهم نفورا) تعبير قرآني مستمد من قوله تعالى ((آتَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً))¹¹⁶ ، وكذلك قول الكاتب (وقد اتى عليه حين من الدهر) تعبير قرآني مستمد من قوله تعالى ((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً))¹¹⁷ .

مثال ذلك ما كتبه عبد المؤمن خليفة المهدي امامهم الى الشيخ عبد الله محمد بن سعد ((من امير المؤمنين ايده الله بنصره وامده بمعونته الى الشيخ ابي عبد الله محمد بن سعد

وفقه الله وسيره لما يرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته... ولما جعل الله هذا الامر العظيم رحمة لخلقه ومطية لرقبه وقراره لاقامة حقه وحمل حملة الدعاء اليه والدلالة به عليه... والتفكر في نواشئ التغير والزوال وتدبروا جري هذه الامور وتصرف هذه الاحوال واعلموا انه لا عزة الا باعزاز الله تعالى فهو ذو العزة والجلال ولا يغرنكم بالله الغرور فالنديا دار الغرور وسوق المحال وليس لكم في قبول النصيحة¹¹⁸.

فالالفاظ القرآنية التي وردت في هذا النص هي (الغرور) إذ اخذ الكاتب من قوله تعالى ((وَلَا يَغْرَبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ))¹¹⁹.

اما ابن عياش فقد كتب رسالة إلى ملك المغرب من هذا النوع قال فيها ((بل محلك امثل التمثيل بالشمس، فلو كان طلوعك على هذه الاقطار شمساً لاصبح (حُلها لك) عبّاداً، ولو كان نزولك مطراً لتكيفت الصخور تراباً دمثاً، ولولا معرفتنا معشر اخوان الصفا باقرار انفسنا لحكمنا بان قلوبنا تمايم لاصدقائنا، ولكن سبقت عيون السعادة بالكلات فلو تصادف بالرضا محلاً، لان تحصيل الحاصل محال، لازلت محروساً، بعين الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، مكشوفة ببركة الذي يروم رايم والسلام))¹²⁰، فلفظة (لاتأخذه سنة ولا نوم) تعبير قرآني مستمد من قوله تعالى ((اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ))¹²¹

وختاماً يمكن القول أن الرسالة الديوانية كان لها حظا كبيرا في سياسة الدولة، فهي تنبئ عن روح المجتمع وقيمه وميزاته من فكر وأدب علوم وأوضاع حرب وسلم، مصورة البيئة بما تحمل من معالم، دون أن تهمل مشاعر الكاتب وخواطره وإبداعاته الأدبية لتصبح بذلك فنا قائما يسمى أدب الرسائل الديوانية تخطى كل الحواجز التي تجعله تابعا لغيره جامدا لا روح فيه ليبدو قطعاً فنيا زاخرة بالمعاني والأفكار والأحاسيس معتبرين إياها أداة رسمية أساسية لا يستغني عنها حاكم أو أمير.

ولم يغفل في كل هذا كاتب الرسالة الديوانية ان يذكر بالدين داعيا الى الحفاظ عليه لاسيما وان بلاد الاندلس تعيش ضغوطات من اليهود والنصارى الذين كانوا يحاولون من حين الى اخر فرض وجودهم بديانتهم ومعاملاتهم فالواجب ان يحافظ المسلمون على الإسلام الذي دخل الأندلس متخذين كل الوسائل لتحقيق ذلك بدء بإنشاء مراكز الثقافة الدينية وتحفيظ الصغار القرآن وتشجيع الخلفاء والامراء أهل العلم من فقهاء ووعاظ على عقد حلقات الدرس لتتويع العقول فلا عجب ان يتأثر الكاتب الديواني بهذا الجو الايماني لتبرز قدراته ومواهبه في توظيف آيات القرآن ومعانيها وألفاظها في مكاتباته السلطانية لتبرز قطعة نثرية فنية لها من عمق التأثير وجودة التعبير.

الهوامش:

- 1- ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، القاهرة 1963، ج1، ص38.
- 2- ينظر: رضوان الداية، الأدب المغربي والأندلسي، دمشق 1980، ص29.
- 3- ينظر: رضوان الداية: المرجع نفسه، ص29.
- 4- ينظر: ابن الأثير: المثل السائر، محمد محي الدين عبد المحيد، بيروت/1990. ج1 ص87
- 5- ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج7، ص30
- 6- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس بيروت 1968 ج1، ص217.
- 7- ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج7، ص30.
- 8- ينظر: المصدر نفسه، ج7، ص30.
- 9- ينظر: علي بن محمد: النثر الأدبي الأندلسي، ق4-5هـ، ط1/1990، ج1، ص157.
- 10- ينظر: حكمت الأوسى: فصول في الأدب الأندلسي، بغداد/1971، ص56.
- 11- ينظر: عمر الدسوقي: الأدب العربي والنصوص، ط4/1971، ج6، ص280.
- 12- ينظر: حكمت الأوسى: فصول في الأدب الأندلسي، ص56.
- 13- ينظر: حمت الأوسى: فصول في الأدب الأندلسي، ص57.
- 14- ينظر: ينظر: علي أبو الخشب: تاريخ الأدب العربي في الأندلس، القاهرة/1970، ص119.
- 15- ينظر: الدسوقي: الأدب العربي والنصوص، ج6، ص281.
- 16- ينظر: المقري: نفح الطيب، ج3، ص38.
- 17- كنون: النبوغ المغربي، ط2/بيروت. ج2، ص466-467.
- 18- ينظر: بن الخطيب: الإحاطة، تحقيق محمد عبد الله عنان مصر 1955 ج2، ص422-423.
- 19- ينظر: ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجي -بيروت/1965، ص174-175.
- 20- ينظر: علي بن محمد: النثر الأدبي الأندلسي، ط1 1990 ج1، ص179.
- 21- ينظر: الشعراوي: الأمويون أمراء الأندلس، ص267-268.
- 22- ينظر: ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان و ليفي بروفنصال، ط2، بيروت ج2، ص90.
- 23- ينظر: عنان الإسلام في الأندلس-العصر الأول، ق1 من الفتح الى بداية عصر الناصر، ط3 تونس، 1990 ص70.
- 24- ينظر: المقري: نفح الطيب، ج1، ص299.
- 25- ينظر: حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ط1، القاهرة، 1980 ص128.
- 26- ينظر: عنان: عصر المرابطين والموحدين، ط2، 1990 تونس، ج1، ص415.
- 27- ينظر: عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج1، ص339.
- 28- ينظر: حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص212.

- 29- ينظر: الخشنى: قضاة قرطبة ، تحقيق الأبياري ، بيروت ، ط2/1989 ، ص39.
- 30- ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج10، ص19-20.
- 31- ينظر: المصدر نفسه، ج11، ص12-15.
- 32- ينظر: بن خاقان: قلائد العقيان، ص27-208.
- 33- ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج8، ص246.
- 34- ينظر: المقرئ: نفح الطيب، ج6، ص165.
- 35- ينظر: الكلاعي: إحكام صنعة الكلام، ، تحقيق رضوان الدابة، بيروت 1966. ص160.
- 36- ينظر: حكمت الأوسى: فصول في الأدب الأندلسي، ص58.
- 37- ينظر: أخبار مجموعة ، تحقيق الأبياري، ط2/1989 ، بيروت. ص106.
- 38- ينظر: بن عذاري: البيان المغرب، ج2، ص93.
- 39- اقتباس من سورة آل عمران الآية 110.
- 40- ينظر: عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج1، ص548.
- 41- ينظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص58.
- 42- ينظر: حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص206-207.
- 43- ينظر: المقرئ: نفح الطيب، ج3، ص39.
- 44- ينظر: طرخان: المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى، ص275-277.
- 45- ينظر: عنان: دول الطوائف، ص113.
- 46- ينظر: بدوي طبانة: معجم البلاغة الغربية، ، الرياض/1982 باب القاف، ص519.
- 47- ينظر: شهاب الدين محمود الحلبي: حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق أكرم عثمان، بغداد/1980. ص26-35.
- 48- ينظر: سورة الكافرون.
- 49- ينظر: سورة التكاثر.
- 50- ينظر: المقرئ: نفح الطيب، ج1، ص485.
- 51- ينظر: بن أبي الزرع: الأنيس المطرب، ص145.
- 52- اقتباس من سورة النمل، الآية: 37.
- 53- ينظر: كنون: النبوغ المغربي، ص501.
- 54- سورة يونس، الآية 91.
- 55- سورة الروم، الآية 41.
- 56- اقتباس من سورة آل عمران، الآية: 85.
- 57- اقتباس من السورة نفسها، الآية: 110.
- 58- اقتباس في سورة الشورى، الآية 13.
- 59- اقتباس من سورة غافر، الآية: 72.

- 60- ينظر: عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج 1، ص 708-710.
- 61- اقتباس من سورة الأنفال، الآية 60.
- 62- اقتباس من سورة الفتح، الآية: 29.
- 63 - اقتباس من سورة آل عمران، الآية 19.
- 64 اقتباس من سورة آل عمران، الآية 85.
- 65 - ينظر: بن حيان: المقتبس، ص 178-182.
- 66- أخذه من قوله تعالى: (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة)، سورة النور، آية 35.
- 67 - اشارة الى قوله تعالى: (والفجر وليل عشر والشفع والوتر)، سورة الفجر، آية 3
- 68 - صبح الأعشى، ج 8، 112.
- 69 - أشار الى قوله تعالى: (وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) سورة الحج، آية 27.
- 70 - أخذه من قوله تعالى: (بل الذين كفروا في تكذيب والله ورائهم محيط) سورة البروج، آية 20.
- 71 - سورة التوبة: آية 33.
- 72 - صبح الأعشى: ج 8: 114.
- 73 - (لأعراف: 119).
- 74 - أخذه من قوله تعالى: (فَقَطَّعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: 45).
- 75 - اقتباس قرآني من قوله تعالى في سورة البقرة، آية 249.
- 76 - اقتباس قرآني من قوله تعالى (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) سورة: الحج، آية 5.
- 77 - صبح الأعشى: ج 8، 115.
- 78 - اقتباس من سورة الإسراء، الآية 37.
- 79 - ينظر: ابن بسام: الذخيرة، ق 1م 1 ص 650-653.
- 80 - اقتباس من سورة الأعراف، الآية: 183
- 81 - ينظر: عنان: دول الطوائف، ص 446-450.
- 82 - اقتباس من سورة الكهف، الآية: 88.
- 83 - ينظر: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص 131-135.
- 84 - اقتباس من سورة الحاقة، الآية: 88.
- 85 - ينظر: بن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص 276-283.
- 86 - اقتباس من سورة البقرة، الآية 09.
- 87 - اقتباس من سورة الأنعام، الآية: 112.
- 88- ينظر: عنان، عصر المرابطين والموحدين، ج 2، ص 226-227.
- 89 - اقتباس من سورة الجن، الآية: 08.
- 90 - ينظر: المقرئ: نفح الطيب، ج 1، ص 506.

- 91- ينظر: القلقشندي صبح الأعشى، ج 9، ص 301-308.
- 92- سورة طه الآية : 7.
- 93- سورة الفتح: الآية 10.
- 94 سورة الفرقان: الآية 68.
- 95- اقتباس من سورة العنكبوت، الآية 45.
- 96- ينظر: عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج 1، ص 548.
- 97- مجموع رسائل موحدية (الرسالة الثالثة والعشرون)، 132 - 133.
- 98- ينظر: عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج 1، ص 342.
- 99- الاحاطة، 1: 413-414.
- 100- مجموع رسائل موحدية، الرسالة الثالثة والعشرون: 133.
- 101- سورة النساء، آية: 162.
- 102- ينظر: عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج 1، ص 538-541.
- 103- ينظر: عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع 1ق 1، ص 711-714.
- 104- ينظر: ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة، ص 354-356.
- 105- ينظر: المقرئ: نفح الطيب، ج 5، ص 184.
- 106- مجموعة رسائل موحدية: الرسالة الاولى: 3.
- 107- سورة البقرة، آية: 197.
- 108- سورة الناس، آية 4.
- 109- ينظر: عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج 2 ص 342-343.
- 110- القلقشندي صبح الاعشى، ج 7، ص 36-37.
- 111- سورة هود، الآية 52.
- 112- انظر الرسالة في: ابن القطان، ص 50، او ما بعدها.
- 113- المصدر نفسه.
- 114- سورة الاسراء، الآية 24.
- 115- مجموع رسائل موحدية، الرسالة الخامسة والثلاثون، 228-229.
- 116- سورة الفرقان، الآية 60.
- 117- سورة الانسان، الآية 1.
- 118- القلقشندي صبح الاعشى، ج 6، 432-433-434.
- 119- صبح الاعشى، ج 6، 432-433-434.
- 120- سورة لقمان: الآية 33.
- 121- سورة البقرة، الآية 255.